أبرز الأهداف التي يبتغيها أعداء القرآن، ومناهج العلماء في الرد عليها

(2)

*بحث فى دفاع عن القراَن*

*إعداد أ/ أيمن محمد أبوبكر*

*قسم التفسير وعلوم القراَن*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*ayman.abobakr@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في أبرز الأهداف التي يبتغيها أعداء القرآن، ومناهج العلماء في الرد عليها.**

**الكلمات المفتاحية : الأهداف ، القرآن ، الدليل**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن أبرز الأهداف التي يبتغيها أعداء القرآن، ومناهج العلماء في الرد عليها**

1. **عنوان المقال**

**هذه النقولات إنما هي قطرة من بحر الحقد الدفين على الإسلام وأهله... إذن فهم يعرفون أن القرآن هو مصدر قوة المسلمين؛ لذلك أعلنوا الحرب على كتاب الله حتى يدبَّ الضعف في نفوس المسلمين، فتسهل السيطرة عليهم في شتَّى المجالات إلا أن القرآن هو الأقوى دائمًا بإذن الله، فعلى الرغم من ضراوة الحرب المعلنة على القرآن بهدف السيطرة على المسلمين وإبعادهم عن كل ما هو إسلامي، إلا أن القرآن يبقى هو الأقوى دائمًا بإذن الله.**

**ويؤيد هذا المعنى حادثة طريفة جرت في فرنسا، وهي أنها من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت هذه الدولة بتجربة عملية، قامت فرنسا بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات أدخلتهنَّ الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهنَّ الثياب الفرنسية، ولقنتهنَّ الثقافة الفرنسية، وعلمتهنَّ اللغة الفرنسية؛ فأصبحنَ كالفرنسيات تمامًا، وبعد أحد عشر عامًا من الجهود هيَّأَتْ لهنَّ حفلة تخرج رائعة، دُعي إلى هذه الحفلة الوزراء، والمفكرون، والصحفيون، ولما بدأت الحفلة فُوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلنَ بلباسهنَّ الإسلامي الجزائري؛ فثارت ثائرة الصحف الفرنسية، وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عامًا، وهنا أجاب لاكوست وزير المستعمرات الفرنسي فقال: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا.**

**في ظل هذه الأهداف السابقة كان لأعداء الإسلام والقرآن تاريخ حافل في الدعاوى والافتراءات الموجهة ضدَّ القرآن، وفيما يلي أعرض لنبذة تاريخية عن هذه الدعاوى وأصحابها:**

**لقد بدأ الجدل التنصيري ضدَّ أصالة القرآن مبكرًا، مع أول صدام بين المسلمين والجماعات النصرانية في الأراضي الخاضعة للدولة البيزنطية، وقام كتابيُّو الشام بأكبر الأدوار وأهمها في تاريخ الجدل التنصيري ضد القرآن، وقد تعدَّدت مراحل الجدل التنصيري ضدَّ القرآن وتباينت معها أساليب الجدل، وأطروحاته فيما يمكن رصده من خلال الأدوار التالية.**

**أولًا: دعاوى وافتراءات أهل الكتاب الشرقيين، لقد كان الشرق مهدًا لنشأة الجدل التنصيري ضدَّ القرآن؛ نظرًا لأنه كان نقطة التقاء الإسلام الفاتح مع النصرانية الشرقية بمذاهبها المختلفة. يُضاف إلى ذلك العامل اللغوي الذي مكَّن مجادلي التنصير الشرقيين من الاطلاع بيسر وسرعة على القرآن الكريم في لغته العربية، ومكَنهم أيضًا من الوقوف على ما احتواه من عقائد، وشرائع، وأخلاق، وقصص، ومن ثَمَّ الشروع في الجدل ضده.**

**أما مجادلي الغرب فقد احتاجوا إلى عدَّة قرون حتى يتمكنوا من قراءة القرآن في إحدى الترجمات، ويمكن في هذه المرحلة تمييز عدد من رموز الجدل التنصيري، من هؤلاء يوحنا الدمشقي، ومنهم تيودور أبو قرة، ومنهم عبد المسيح الكندي، ومنهم بولس الأنطاكي.**

**وكانت هذه المرحلة تُعدُّ هي مرحلة البداية للجدل التنصيري في المشرق، وهذه المرحلة أيضًا هي من أهم أدوار الجدل التنصيري وأخطرها؛ إذ أُلِّفت في هذه المرحلة قاعدة الجدل والأساس الذي بَنَى عليه المنصرون جدليَّاتهم في مراحل التنصير اللاحقة.**

**أما المرحلة الثانية فقد كانت مرحلة الأندلس: تلك المرحلة التي كانت عصر ازدهار علمي وحضاري في مختلف الجوانب، وفيها ارتفع صوت الحرية الدينية والنقاش حول قضايا الأديان والعقائد، وقد استغلَّ المنصرون ذلك، فصنفوا مؤلفات جدلية ضد الإسلام، وتصدَّى لهم علماء الإسلام ردًّا وتفنيدًا.**

**المرحلة الثالثة: هي مرحلة الحروب الصليبية، لقد امتدَّت الحروب الصليبية قرنين من الزمان لتدمير الإسلام، وعهدها يُعدُّ هو أروع العهود في العصور الوسطى كلها، وقد تزامن ذلك مع عمليات الإبادة الجماعية التي مُورست ضدَّ المسلمين، ومن أبرز ما يميز تلك المرحلة ما يلي:**

**كانت هذه المرحلة إرهاصًا بظهور التنصير المؤسسي، كذلك من أهمِّ نتائج هذه المرحلة ترجمة القرآن الكريم من اللغة اللاتينية، ومن أهم الرموز الجدلية في هذه المرحلة الشخصيات التالية: بطرس المحترم، روجر بيكون الراهب الفرنسيسكاني، ريمون ديمارتنيه.**

**ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التنصير المؤسسي:**

**بدأت هذه المرحلة إثر فشل الحروب الصليبية في تدمير الإسلام، فعندما خاضت دول أوربا في الحروب الصليبية الأولى عن طريق السيف أرادت أن تُثير على المسلمين حربًا صليبية جديدة، عن طريق التبشير، وقد جاء هذا التحوُّل بناء على وصية القديس لويس التاسع ملك فرنسا، وقائد الحملة الصليبية السابقة التي انتهت بالفشل ووقوع لويس نفسه في الأسر والسجن في مدينة المنصورة بمصر.**

**وتلفت تلك الوصية الأنظار إلى صعوبة قهر المسلمين عن طريق القوة، وذلك بسبب روح الجهاد لديهم، وتوصي تلك الوصية بتلمُّس طريق الغزو الفكري الهادف إلى دحض العقائد الإسلامية وتزييفها، وقد نتج عن هذه المرحلة طريقان، أو مؤسستان للوصول إلى الأهداف السابقة:**

**المؤسسة الأولى: هي مؤسسة التبشير، فلقد كانت كلية الثالوث المقدس هي القاعدة التي انطلق منها التنصير المؤسسي، فهي أولى لبنات مؤسسة التبشير ضد الإسلام، وكان ريموند لول ليس أول مُعلم فيها فقط، بل كان هو أول من مارس التبشير ضد الإسلام؛ فجال في بلاده وناقش علماءه.**

**أما المؤسسة الثانية: فقد كانت مؤسسة الاستشراق، وقد بدأ الاستشراق بقانون كنسي حدَّد مهمة المؤسسة الاستشراقية في التمهيد، والإعداد لارتداد العرب إلى النصرانية.**

**وبعد بيان تلك المقدمات أختم بالكلام على مناهج العلماء في الرَّد على الدعاوى والافتراءات:**

**للعلماء في الرَّدِّ على الدعاوى والافتراءات طريقتان:**

**الطريقة الأولى: تهتم بالرد على دعاوى وطعون شخص معين، أو كتاب معين مثل الإمام ابن حزم الأندلسي -رحمه الله- في ردِّه على ابن النغريلة اليهودي، وردود العلماء على دائرة المعارف الإسلامية في زعمها تحريف القرآن، ونقله من التوراة والإنجيل.**

**أما الطريقة الثانية: فهي تهتم بالطُّعون من حيث هي بغضّ النظر عمن قالها، فتُجمع الطعون ثم يُردّ عليها، ومثال ذلك (الروض الريان في أسئلة القرآن) لشرف الدين بن ريان، وكذلك (وضح البرهان) لبيان الحق النيسابوري، وكذلك (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) للإمام الشنقيطي وغيرهم.**

**وقبل أن نغادر هذا الدرس لا بد من تأصيل قاعدتين مهمتين في رحلتنا مع الدعاوى والافتراءات الموجهة ضدّ القرآن، وفيما يلي عرض لهاتين القاعدتين:**

**القاعدة الأولى: اليقين التام بأن جميع هذه الدعاوى مفتراة ومكذوبة، لا أصل لها من الصحة، ولا أساس لها من الواقع، وإنما هي محض أوهام؛ بل أضغاث أحلام، جاءت من قلب امرئ حاقد، أو جاهل؛ إذ إن الله  يقول:** {...} **[فصلت: 42] فما كان لنا أن نُكذِّب ربنا، ونصدق ملحدًا حاقدًا أو مجادلًا جاهلًا، وهذه قاعدة في غاية الأهمية؛ إذ إن السبب في تأثر البعض بهذه الدعاوى أن هذه القاعدة لم تكن عندهم من المسلَّمَات.**

**القاعدة الثانية: إن عدم قدرة إنسان معين على الرد ليس معناه الهزيمة، وليس معناه العجز، وليس معناه إثبات الطعن؛ بل إنه لا يخلو زمان من قائم لله بالحُجة قال تعالى:** {...} **[الحجر: 9].**

**وبعد الانتهاء من هذه المقدمة، وهذا التمهيد، وبعد بيان هاتين القاعدتين نختم هذا الدرس التمهيدي بكلمة من أروع ما قيل في ذلك المقام، تلك الكلمة التي قالها الإمام القرطبي -رحمه الله- بعد أن سرد المآخذ والمثالب والآفات التي طرأت على الكُتب المنزلة على الأنبياء السابقين لسيدنا محمد  قال -رحمه الله: "وكتابنا منزه عن أمثال تلك الآفات، فإن الله تعالى تولَّى حفظه، وأجزل من كل صيانة حظه، فلا يختلط به كلام متكلم، ولا يُقبل وهم متوهم؛ إذ ليس من جنس كلام البشر، وهو معدود الآي والسور، ثم صانه بأن يسَّره للحفظ والاستظهار، فيستوي في نقله الكبار والصغار، لا يختص بحفظه أحد، والوالد إذا نقص منه حرفًا واحدًا أو غيَّر حركة واحدة ردَّه وأصلحها عليه الولد، ومع هذا فحروفه وكلماته وآياته وسوره في الدواوين معدَّدة، وأشكال حروفه فيها مقيدة، ومع هذا نقله الأمم التي لا تُحصى عن الأمم التي لا تُحصى حتى يصل ذلك إلى النبي المصطفى مع قُرب العهد، والتشمير في صيانته والجد، فبهما كمَّل الله له الصون، وحصل له بهما على فهمه أكبر العون، فلله الحمد على ما أولى، والشكر له على نعمه التي لا تُحصى، فأين اللؤلؤ من الخزف، وأين الياقوت من الصدف".**

**المصادر والمراجع**

1. **السيوطي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الإتقان في علوم القرآن) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م**
2. **الزركشي، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (البرهان في علوم القرآن) ، بيروت، نشر دار المعرفة، 2001م**
3. **الدجوي، يوسف أحمد نصر الدجوي، (الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف) ، القاهرة، مطبعة القاهرة، 1969م**
4. **الجزيري، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، (أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين) ،دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1416هـ**
5. **أبي داود، ابن أبي داود، تحقيق: محب الدين واعظ، (المصاحف) ، دار البشائر الإسلامية، 2002م**
6. **الباقلاني، القاضي أبي بكر محمد الباقلاني، (نكت الانتصار لنقل القرآن) ، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971م**
7. **الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، (مناهل العرفان في علوم القرآن) ، بيروت، دار الفكر، 1996م**
8. **أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة، (المدخل لدراسة القرآن الكريم) ، الرياض، نشر دار اللواء، 1987م**
9. **بن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، بيروت، دار الجيل،1405هـ**
10. **أبو زهرة، محمد أبو زهرة، (المعجزة الكبرى القرآن) ، دار طيب للنشر، 2003م**
11. **مزروعة، حاتم محمد منصور مزروعة، (دعاوى تحريف القرآن الكريم) ، طبعة جامعة الأزهر، 2007م**
12. **الباقلاني، أبو بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، (إعجاز القرآن) ، مؤسسة الكتب الثقافية، 1991م**